العلاقات الإقليمية والدولية للمملكة المتوكلية اليمنية في عهد الإمام يحيي (١٣٣٧ -١٣٦٧هـ) / (١٩١٨- ١٩٤٨م)

الطالب/ مقبول بن غايب بن عقلاء الرشيدي (*)

يستكشف هذا البحث العلاقات الخارجية لليمن في عهد الإمام يحيى بن حميد الدين، حيث ساد مبدأ العزلة في السياسة الخارجية اليمنية. وقد اتسمت علاقات الإمام بالحذر الشديد مع الدول العربية والدولية، حيث كان يتعامل مع المبعوثين الأجانب بتشديد المراقبة والعزل في دار الضيافة. ومع ذلك، أجبرته التطورات السياسية والضغوط الداخلية على إقامة علاقات مع عدد من الدول، مما أثر على مسار السياسة الخارجية اليمنية.

ويسعى هذا البحث إلى الإجابة على التساؤل التالي: إلى أي مدى تأثرت سياسة الإمام يحيى بن حميد الدين الخارجية بمتطلبات العصر وحركة التحديث؟ وهل كانت المعاهدات والاتفاقيات التي أبرمها مع الدول الأخرى تعكس انفتاحا حقيقيا على العالم الخارجي أم كانت مجرد إجراءات شكلية؟، من خلال المحاور التالية سياسة العزلة، العلاقات الإقليمية، وأخيرا: العلاقات الدولية.

أولا : سياسة العزلة

حكم نظام الإمامة الزيدية اليمن لأكثر من ألف عام منذ مبايعة أول إمام زيدي في اليمن عام (٢٨٤هـ-٩٠٠م) حتى سقط آخرهم في ٢٧ ربيع الآخر ١٣٨٢هـ-٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م[١].

ويعد الإمام يحيي بن حميد الدين[٢] مؤسس الدولة اليمنية الحديثة، وأول حاكم لها بعد استقلالها، ولهذا ارتبط تاريخ اليمن الحديث بتاريخ حياة الإمام، واعتبر التاريخان أمرا واحدا طوال

---

* - باحث دكتوراه – قسم التاريخ والتراث – جامعة القسيم – السعودية.

(١) أحمد: أحمد يوسف، الدور المصري في اليمن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١م، ص ٥١.

(٢) يحيي حميد الدين (١٨٦٩- ١٩٤٨): هو يحيى بن محمد بن يحيى حميد الدين، من أسرة بيت القاسم بن محمد، ملك اليمن، ولد ونشأ في صنعاء، شارك في قيادة الثورة على الأتراك بويع بالإمامة عند وفاة أبيه المنصور وتلقب بالمتوكل على الله فاسرع إلى إعلان الثورة على الأتراك وحاصر صنعاء مرتين عامي (١٩٠٥- ١٩١١) حيث عقد صلح دعان مع الأتراك، فكان هذا خطوة نحو إقامة المملكة المتوكلية اليمنية عند انسحاب الأتراك من اليمن عقب هزيمتهم في الحرب العالمية الأولي ١٩١٨، ولكنه هزم عام ١٩٣٤ في

النصف الأول من القرن العشرين[٣]. وتقسم مراحل عهد الإمام يحيى في اليمن نظريا إلى ثلاث مراحل: أولاً: مرحلة المقاومة ضد مأموري الأتراك، وتمتد من (١٣٢٣-١٣٢٩هـ) إلى (١٩٠٤-١٩١١م)، وثانيا: مرحلة ممارسة الحكم في ظل الأمور الشرعية، وتمتد من (١٣٢٩-١٣٣٧هـ) إلى (١٩١١-١٩١٨م)، وثالثاً: مرحلة الحكم المستقل، وتمتد من (١٣٣٧ - ٧ ربيع الآخر ١٣٦٧هـ) إلى (١٩١٨- ١٩٤٨م)[٤].

وقد قامت سياسة الإمام يحيى على أساس ثلاث دعائم: السياسة الخارجية على أساس العزلة التامة، أما السياسة الداخلية على أساس المذهب والعرق. وعلى هذه الدعائم سواء كانت صحيحة أم خاطئة حكم الإمام يحيى اليمن ٤٤ عاما[٥].

أما سياسة العزلة، فيذهب البعض إلى تبرير عزلة اليمن، وانطوائه على حدوده المغلقة إلى عدم وجود جيش يكفل حماية وصيانة الديار، ويزعمون أن العزلة خير ضمان يكفل استقلالها، ويصون سيادتها، وكان على هذا الرأي الإمام يحيي[٦]، ولذلك رفض الإمام إقامة القنصليات، واتبع مراقبة الوافدين على صنعاء الذين كانوا يحبسون في أحد القصور بحجة الضيافة، ولا يسمح لهم

معركته مع عبد العزيز بن سعود وخرجت جيزان ونجران وعسير من يده، وكشفت هذه الهزيمة فساد حكمه. اتهم بالجمود والانعزالية، مما أدى لامتداد حركة المعارضة ضده وانتهت بقتله في سواد حزيز خارج صنعاء في ١٧ فبراير ١٩٤٨. أحمد جابر عفيف: الموسوعة اليمنية، ج٢، ط٢، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء،٢٠٠٣، ص١٢١٢.

(٣) سالم: سيد مصطفى، سالم: سيد مصطفى، تكوين اليمن الحديث اليمن والإمام يحيى ١٩٠٤-١٩٤٨م، دار الأمين، ط٤، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٤٧٢.

(٤) الجبارات: محمود محمد هملان، العلاقات اليمنية الأمريكية ١٩٠٤-١٩٤٨م، عهد الإمام يحيى حميد الدين، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٥٥.

(٥) العقاب: عبد الوهاب، العقاب: عبد الوهاب آدم، الوحدة اليمنية: دراسة وثائقية في تاريخ اليمن المعاصر، من مرحلة الإمام علي إلى تاريخ اليمن المعاصر، دار رسلان للطباعة، ٢٠٠٩م ، ص ٦٣.

(٦) دار الوثائق القومية المصرية بالقاهرة، أرشيف وزارة الخارجية المصرية، أرشيف البلدان، اليمن، فيلم ٤٧، محفظة ٧٣، ملف ١١، اليمن وإخراجها من العزلة، ٢٥ ديسمبر ١٩٥٥م.

بالخروج إلا بموافقته الشخصية[٧]، وأرسل الإمام يحيى وفدا صغيرا إلى الأمم المتحدة، لكنه عند موته لم يكن لديه سوى سفير واحد فقط في الخارج يوجد في القاهرة[٨].

وتعود أسباب العزلة اليمنية إلى:

١- التجارب التاريخية القاسية لليمنيين مع الأجانب، فلاشك أنهم قاسوا كثيرا خلال حروبهم الطويلة مع العثمانيين، ثم تبع ذلك علاقاتهم مع بريطانيا التي اتسمت بالعنف والوحشية، فقاسوا مرارة استعمال الطائرات ضدهم[٩].

٢- عبر الإمام عن خوفه من إقامة علاقات خارجية؛ لأنه يخشى أن تكون أي اتفاقية في يوم ما من ضمن أسباب تدخل الأجانب في شؤون اليمن[١٠].

٣- اتقاء شر الأجانب؛ حيث الطبيعة الجبلية لليمن، فباستثناء الساحل الضيق نجد أن باقي الشعب يتميز بأنه جبلي الأصل[١١].

٤- عد الإمام يحيى أن الاهتمامات العلمية، ورغبة الأجانب الزائرين في التعرف على بلاده ما هي إلا تغطية لنشاطاتهم التجسسية، وبرر عزلته بأنه يدافع عن شعبه ضد الإلحاد والعلوم الوثنية، ويريد أن يتبع الشعب الدين الصحيح[١٢].

على الرغم من العزلة المفروضة على اليمن خلال فترة حكم الإمام يحيى بن حميد الدين، فقد سعى الإمام إلى الظهور بمظهر الحاكم المستنير، فأبرم العديد من المعاهدات والاتفاقيات مع دول عربية وإقليمية وعالمية، خاصة الدول الكبرى. ومع ذلك، ظلت تلك المعاهدات والاتفاقيات حبرا على ورق، ولم تنفذ بشكل فعلي.

ثانيا: العلاقات الإقليمية لليمن

---

(٧) سلومي: فاطمة، اليمن من الحكم الملكي إلى الحكم الجمهوري (دراسة في التحولات السياسية للثورة)، بيروت، ٢٠١٥م، ص ١٥.

(٨) حسني: حمادة، حسن البنا وثورة اليمن، مكتبة بيروت، د.ت، ص ٢٢.

(٩) سالم: سيد مصطفى، تكوين اليمن الحديث، ص ٤٤٣.

(١٠) نفسه، ص ٤٣٩.

(١١) سالم: سيد مصطفى، المرجع السابق، ص ٤٤٢.

(١٢) جولوبوفسكايا: إيلينا، ثورة ٢٦ سبتمبر في اليمن، دار ابن خلدون، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٢٢.

رغم العزلة التي سادت فترة حكم الإمام يحيى ونظامه إلا أنه كان يضطر ليستجيب لمتطلبات العصر وضروراته، فلجأ إلى توقيع عدد من المعاهدات والاتفاقات أملتها ظروف واعتبارات شتى فرضت نفسها على الإمام.

من الطبيعي عند تناول العلاقات اليمنية العربية أن تكون البداية عن العلاقات اليمنية السعودية؛ لأن الأخيرة جارتها من ناحية، والعمق الاستراتيجي لها من ناحية أخرى، كما أن الرياض أثرت كثيرا على مجريات الأحداث في تاريخ اليمن المعاصر منذ عشرينات القرن العشرين وما زالت.

لقد ورثت الدولتان أسبابا للعداوة منها: ما هو عقائدي؛ حيث يعتنق أهل اليمن في الجزء المجاور للسعودية المذهب الشيعي الزيدي، بينما يعتنق معظم أهل السعودية المذهب السني، وما هو سياسي؛ حيث كانت الأسرة السعودية الحاكمة في نجد ترى في الأسر الهاشمية التي تحكم اليمن والحجاز، في ذلك الحين منافسا خطيرا على طموحاتها، والعكس صحيح، وبدأت سلسلة المنازعات في القرن العشرين بين السعودية واليمن أثناء مشوار الملك عبد العزيز -طيب الله ثراه- الأسطوري لتوحيد أقاليم المملكة العربية السعودية، وأعلنها في جمادى الأخرى١٣٥٣هـ -سبتمبر ١٩٣٤م[١٣].

وقد بدأت العلاقات السيئة بينهما بحادث موسم الحج١٣٣٩هـ-١٩٢١م أول حادثة في تأزم العلاقات بينهما؛ حيث قتل مجموعة من حجاج اليمن، وقد أشارت الحكومة السعودية بأنه وقع خطأ؛ حيث اعتقد أنهم نجدة لآل عايض التي ثارت للتخلص من الإدريسي، واستعان بالسعوديين لإطفاء نار الثورة، وعقدت بعد ذلك عدة اجتماعات بين اليمن والسعودية لتسوية المشكلات التي كان منها مسألة قتل الحجاج، وأشهر هذه الاجتماعات المؤتمر الذي انعقد في أبها في ذي القعدة سنة ١٣٥١هـ/١٩٣٢هـ.، وقد مثل اليمن في هذا الاجتماع عبد الله الوزير، وعن السعودية فؤاد حمزة الذي أكد في الاجتماع أن موقف السعودية من مسألة الحجاج اليمنيين بأنها مسألة مذتهية، وأن جلالة الملك عبد العزيز قرر بشأنها ما يلي:

---

(١٣) أحمد: محمود عادل، ذكريات حرب اليمن ١٩٦٢-١٩٦٧م، مطبعة الأخوة، د.ن، د.م، ١٩٩٢، ص ١٨٢-١٨٣.

أولًا: أن الحجاج هم الذين ألقوا بأنفسهم في ساحة الحرب.

ثانيا: ومن وجهة حقوق الدولة كل شخص يدخل ساحة الحرب يكون مشاركًا فيها، ويعد عدوا يجب قتاله.

ثالثًا: أن جلالة الملك لم يوافق عليها، وأنكرها في وقتها.

رابعا: أن جلالة الملك أمر بإعادة ما وجد مع الحجاج، وعقد وثيقة بكل ذلك، ولكن الوفد اليمني لم يقتنع بهذه التبريرات من جانب الوفد السعودي، ولم تصل هذه الاجتماعات إلى شيء، ولم تسفر عن أي تحسن في العلاقات بين البلدين(١٤).

وقد كانت اليمن تطالب بإقليم عسير ونجران الواقعات ضمن أقاليم المملكة السعودية، بينما تذكر المملكة أنه منذ عصر الولاة بعد دخول اليمن في الإسلام لم يكن هناك أي سيطرة من حكام اليمن على هذه الأقاليم، وقد أدخل الأتراك في عهد سيطرتهم على شبه الجزيرة العربية إقليم عسير ضمن الولايات اليمنية، ولكنه من الناحية العملية، ومنذ نهاية القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين، فإن إقليم عسير كان يحكم بواسطة الإدريسي الذي أسس والده طريقة دينية في هذه المنطقة، وخلف ثروة مادية، وروحيه هائلة استغلها في السيطرة على الإقليم، وخلق كيانا سياسيا مستقلًا عن اليمن، وعن إقليم الحجاز ونجد، وذلك خلال الفترة (١٢٧٤-١٣٤٢هـ) / (١٨٥٧-١٩٢٣م)، وحكم من بعده حسن الإدريسي، وقد شمل إقليم عسير ساحل تهامة حتى جنوبي ميناء الحديدة، ثم تحالف مع الإيطاليين الذين ساعدوه ليقف في وجه أئمة اليمن الذين كانوا يتطلعون إلى احتلاله بعد أن احتلوا إرتريا على الساحل الإفريقي، ثم حالف الأدارسة بريطانيا من بعدهم(١٥)، ووقعوا معه معاهدة حماية عام (١٣٤٥هـ/١٩٢٦م) تضع إمارة الأدارسة تحت الحماية

(١٤) عقل: محمد صادق، أبو عافية: هيام، أضواء على ثورة اليمن، كتب قومية، مطابع الدار القومية المصرية، القاهرة، د.ت.، ص ٨٤-٨٦.

(١٥) أحمد: محمود عادل، المرجع السابق، ص ١٨٣-١٨٤.

السعودية[١٦]، وأعلن الملك عبد العزيز آل سعود عام (١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) أن إدارة "إمارة الأدارسة أصبحت من اختصاصاته، وولى أميرا عليها هو حمد الشويعر"[١٧].

وبدأت الوفود من السعودية تتوالى على صنعاء لطلب المفاوضات على أساس أن عسير أصبحت سعودية، وكان من نتيجة هذه المفاوضات توقيع اتفاقية مكة (١٣٤٩هـ-١٩٣٠م) لتبادل الصداقة وحسن الجوار، ولكن لم تحل مشكلة الحدود[١٨]، ثم تطور الأمر بعد ذلك عند قيام الأدارسة بثورة عنيفة ضد الملك عبد العزيز عام (١٣٥١هـ-١٩٣٢م)، إلا أن الملك عبد العزيز أخمدها، ولجأ الأدارسة إلى الإمام يحيى، وكان قبول الإمام لهم، وعدم استجابته لطلب الملك عبد العزيز بإعادتهم إليه، ثم استيلاء عامل الإمام يحيى بصعدة مجهزا من ولده سيف الإسلام أحمد علي نجران، وبسط نفوذ الإمام فيها، وفي وادي نشور ومدينة بدر القريبة من نجران، وفي جبال فيفاء، وبني مالك من منطقة يام المجاورة لنجران، كانت كل هذه الأمور من دوافع إعلان الملك عبد العزيز الحرب على الإمام يحيى[١٩].

وردا على هذا العدوان زحفت القوات السعودية على أربع جهات نجران، وصعداء، وتهامة والساحل، وفي ٤ ذي الحجة ١٣٥٢هـ - ٢٠ مارس ١٩٣٤م بدأ التقدم بمشقة في سراة عسير عبر الجبال في اتجاه جبال فيفاء وبني مالك شمال شرقي اليمن، بينما تقدم الأمير فيصل بن عبد العزيز عبر ساحل تهامة؛ حيث استولى على الإقليم الذي كان احتلاله أمرا حيويا؛ لكونه يقطع خط الرجعة

---

(١٦) القحطاني: عبد القادر حمود عبد العزيز، التطور السياسي في اليمن ١٩٤٨-١٩٦٢م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٤م، ص ٤٣.

(١٧) ملكاوي: حنان سليمان، ملكاوي: حنان سليمان، عبد العزيز آل سعود والأدارسة ١٣٥٣-١٣٣٩هـ / ١٩٢٠-١٩٣٤م، دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٣٨، العدد ٢٠١١م، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، ص ١٥٠.

(١٨) أحمد: محمود عادل، المرجع السابق، ص ١٨٤.

(١٩) الحداد: محمد يحيى، الحداد: محمد يحيى، تاريخ اليمن السياسي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٦م.، ص ٣٧٤-٣٧٥.

على القوات الزيدية في جهات فيفاء وبني مالك، ثم اتجه إلى المنطقة المحيطة التي تشمل مدن عقبة الشطبة ذات المركز الاستراتيجي المهم[٢٠].

وإزاء التدهور العسكري للقوات اليمنية بدأت المفاوضات مرة أخرى بين الإمام يحيى والملك عبد العزيز الذي كان في مركز القوة، وتم توقيع اتفاقية الطائف في ٥ صفر ١٣٥٣هـ - ١٩ مايو ١٩٣٤م التي لم يرض عنها الشعب اليمني، وتكونت هذه الاتفاقية من ثلاث وعشرين مادة نصفيها على إنهاء حالة الحرب بين البلدين، واعتراف كل منهما باستقلال الآخر، وتحديد الحدود بينهما بكل دقة وجلاء القوات اليمنية عن نجران، وجبال عسير إلى ما وراء تلك الحدود، كما أخلت السعودية ساحل تهامة، وتم تسليم الأدارسة للسعودية، ومدة هذه المعاهدة عشرون عاما تجدد تلقائيا، ما لم يبد أحد الطرفين المتعاقدين الرغبة في التعديل قبل ستة أشهر من انتهائها[٢١].

وأقامت هذه المعاهدة قواعد ثابتة، وأسسا متينة لعلاقات البلدين؛ لأنها عينت الحدود، وثبتتها بشكل لا يترك أي مجال للخلاف بينهما في المستقبل، كما أنها وحدت التمثيل الدبلوماسي الخارجي، وقد انتهت لجان الحدود عام ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م من تثبيت أعمدة الحدود بين الدولتين، وسارت الأمور سيرا حسنا بين المملكتين، بل إنهما انضمتا في معاهدة تحالف مع العراق عام ٢٩ محرم ١٣٥٥هـ - ٢١ أبريل ١٩٣٦م[٢٢].

أما العلاقات اليمنية العراقية، فقد وقعت اليمن مع الحكومة العراقية سنة ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م في صنعاء معاهدة صداقة، وقعها عن اليمن عبد الله بن حسين العمري، وطه الهاشمي عن العراق، ونصت المعاهدة على الاعتراف المتبادل، وعلى أن يسود السلم والصداقة بين البلدين[٢٣]، وبهذا تعد العراق أول دولة عربية اعترفت باستقلال اليمن، وعرض العراق استعداده لتدريب الضباط اليمنيين، والسبب في ذلك أنه كان يخشى من أي تغلغل إيطالي في اليمن، ونتيجة معاهدة عام

---

(٢٠) ضياء الدين: عصام، عسير في العلاقات السياسية السعودية اليمنية ١٩١٩-١٩٣٤، دار الزهراء، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٢٨٩-٢٨٠.

(٢١) عقل: محمد صادق، المرجع السابق، ص ٩٠-٩٥.

(٢٢) أحمد: محمود عادل، المرجع السابق، ص ١٨٦.

(٢٣) شرف الدين: أحمد حسين، اليمن عبر التاريخ من القرن الرابع قبل الميلاد إلى القرن العشرين، ط٢، القاهرة، ١٩٦٤م.، ص ٣٠٤.

١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م التي وقعت بين اليمن وإيطاليا، ووصلت من بغداد أول بعثة عراقية أواخر عام ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م[٢٤].

وفي ١٨ صفر ١٣٥٦هـ - ٢٩ مايو ١٩٣٧م انضمت اليمن إلى ميثاق بغداد الذي يضم العراق والسعودية، وقد تبع الانضمام إلى الحلف عقد معاهدة تسليم المجرمين بين العراق واليمن، وفي ٢٩ ربيع الثاني ١٣٦٥هـ - أول أبريل ١٩٤٦م كانت اليمن قد بعثت إلى العراق بعثة عسكرية عام ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م للالتحاق بالمدرسة الحربية العراقية، وقد أتمت دراستها هناك في جمادى الأولى ١٣٥٧هـ - يوليو ١٩٣٨م، وكذلك ذهبت الى العراق بعثة علمية التحقت بدار المعلمين في بغداد، وتوقف إرسال هذه البعثات عقب اشتعال الحرب العالمية الثانية؛ نظرا لصعوبة المواصلات[٢٥].

وفي عام ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م وصل إلى اليمن بعثة عسكرية عراقية ومعها ملابس، وأجهزة تليفونية، ولاسلكية، وكان بها خمسة ضباط، وأحد عشر صف ضابط، وقد أدخلت تحسينات على تدريب الجيش إلا إن أثرها الأكبر كان في مجال زيادة التوعية السياسية، وبرز في هذا النقيب جمال جميل الذي لم يغادر اليمن بعد انقضاء مدة البعثة، وبقي مدربا للجيش؛ وذلك لأنه خاف من عودته للعراق بعد أن اشترك في انقلاب بكر صدقي عام ١٣ شعبان ١٣٥٥هـ - ٢٩ أكتوبر ١٩٣٦م، وقتل رئيس الوزراء جعفر العسكري، وقد لقن أفكاره الثورية لكثير من طلبته اليمنيين[٢٦].

وعقدت مصر مع اليمن معاهدة صداقة وتعاون في ٢١ شوال ١٣٦٤هـ-٢٧ سبتمبر ١٩٤٥م، وقد نصت مقدمتها على أن الطرفين "رغبة منهما في تقوية ما بينهما من الروابط، وتوثيق عرى الصداقة، والمودة قد اتفقا على عقد معاهدة تثبت فيها علاقاتهما الودية، ثم نصت المعاهدة على أن:

---

(٢٤) الغفاري: علي عبد القوي، الوحدة اليمنية، مؤسسة الكتاب المدرسي، صنعاء، ١٩٩٧م.، ص ٦٥.

(٢٥) سالم: السيد مصطفى، المرجع السابق، ص ٦٥.

(٢٦) أحمد: محمود عادل، المرجع السابق، ص ١٠٦.

أولاً: يحافظ كل طرف من الطرفين المتعاقدين على حسن العلاقات بينهما، ويوثق أواصر المودة والصداقة التي تربط رعاياه برعايا الطرف الآخر، ويمنع بكل ما لديه من وسائل أي عمل في بلاده ضد السلم والسكينة في بلاد الطرف الآخر.

ثانيا: تنشأ بين الطرفين المتعاقدين علاقات التمثيل الدبلوماسي والقنصلي عند اتفاقهما في الوقت المناسب، ويعامل الممثلون الدبلوماسيين، والقناصل لكل طرف لدى الآخر وفقاً للأصول المرعية في القانون الدولي العام، وذلك على أساس التبادل.

ثالثاً: قد وافق الطرفان المتعاقدان على عقد اتفاق تجاري مؤقت وفقاً للكتابين الملحقين بهذه المعاهدة[٢٧]، ووقعت المعاهدة في ٢٥ رمضان ١٣٦٥هـ-٢٢ أغسطس ١٩٤٦م، واستهدفت المعاهدة إقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين، ولكن لم تقم هذه العلاقات عمليا إلا في عهد الإمام أحمد عام ١٣٧٠هـ- ١٩٥١م[٢٨].

ثالثا: العلاقات الدولية لليمن

كانت إيطاليا أول دولة يعقد معها الإمام يحيى معاهدة دولية؛ حيث ظهرت إيطاليا كقوة كبرى ذات أطماع في شرقي البحر الأحمر وجنوب غربي الجزيرة العربية بعد الحرب العالمية الأولى، وجعلت إرتيريا مركزاً لنشاطها في شرقي إفريقيا والبحر الأحمر، وأخذت تعمل من أجل منافسة بريطانيا في عدن والجنوب اليمني المحتل[٢٩].

وفي أوائل القرن العشرين أبدت إيطاليا اهتماما بإنشاء خط حديدي بين الحديدة – صنعاء، لكن العقد أعطي لشركة فرنسية، ولم ينفذ في النهاية، وبعد انتهاء الحرب الإيطالية العثمانية سنة ١٩١٢م أنشأ الإيطاليون مركز إسعاف طبي في الحديدة، وبحلول عام (١٣٣٨هـ-١٩٢٠م) كان الإيطاليون يديرون محطة اللاسلكي، وأعمال الميناء، ومع عام (١٣٤٤هـ-١٩٢٥م) توطدت دعائم النظام الفاشيستي، وبما أن إيطاليا كانت قد ثبتت موقعها في إرتيريا في ذلك الحين، فقد اتجهت ببصرها صوب الشاطئ الآخر للبحر الأحمر؛ وذلك بغية زيادة تأمين مستعمراتها في شرقي إفريقيا، والبحث

---

(٢٧) كامل: محمود، الإسلام والعروبة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٢٨٩.

(٢٨) سالم: السيد مصطفى، المرجع السابق، ص ٤٧١.

(٢٩) العرامي: أحمد أحمد صالح، العلاقات اليمنية العراقية ١٩٣٤-١٩٦٢م، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن، ٢٠٠٧م، ص ١٦.

عن امتيازات اقتصادية أخرى، وقد أوكلت مهمة القيام بأول اتصال رسمي مع الإمام إلى السنيور جاسبريني Gasparini الإيطالي الحاكم الفاشيستي لإرتيريا(٣٠).

وهكذا وصل إلى صنعاء حاكم إرتيريا السنيور جاسبريني ليصبح أول أجنبي يستطيع أن يؤثر في الإمام يحيى، ويعقد معه معاهدة تجارية محدودة، وكان دفع الإمام إليها حاجته لشراء السلاح من إيطاليا، وقد وصل حاكم إرتيريا الى صنعاء؛ لتوقيعها في شهر سبتمبر من عام (١٩٢٦م-١٣٤٥هـ)(٣١)، وكانت مدة هذه الاتفاقية عشر سنوات، وهي أول معاهدة أوروبية تعترف بالإمام يحيى ملكاً على اليمن، وتضمنت ترتيبات لبعض الامتيازات التجارية(٣٢).

وقد نشرت هذه المعاهدة جريدة الإيمان الجريدة الرسمية، كما نشرت في الجرائد المصرية والسورية والأوربية؛ حيث كانت مثار حديث، وتعليق العالم حينذاك؛ لأنها كانت أول معاهدة تعقدها اليمن في تاريخها الحديث، وهذه المعاهدة رغم أهميتها إلا أنها كانت محدودة في نصوصها، محددة في أغراضها، تنص في أغلبها على الاهتمام بتنظيم الناحية التجارية بين البلدين، ولكنها لم تغفل الجانب السياسي في الوقت نفسه؛ حيث تعترف المادة الأولى باستقلال اليمن، وملكها الإمام يحيى، وتنص المادة الرابعة على حرية الطرفين التجارية دون أن تقيدها تلك المعاهدة(٣٣).

كانت المعاهدة -كما يدل نصها المحدد- تعبر بصراحة وبالتحديد عن أغراض الطرفين منها، فالإمام يحتاج إلى الاعتراف به، وباستقلال اليمن تحت حكمه، ويحتاج إلى من يبيع له الأسلحة، والآلات الفنية التي تعينه على بدء الإصلاحات الداخلية، وكانت إيطاليا ترغب في فتح

---

(٣٠) ماركو: إريك، اليمن والغرب ١٥٧١-١٩٦٢م، ترجمة العمري: حسين أن عبد الله، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧م، ص ١٣١- ١٣٢.

(٣١) العشملي: محمد أحمد، محمد أحمد، التاريخ السياسي للدولة اليمنية ١٨٣٨-٢٠٠١، القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٢.، ص ٣٢؛ علي، يوسف أحمد جميل، العلاقات السوفيتية اليمنية ١٩٦٢-١٩٤٥م السياسية نموذجا، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قناة السويس، العدد ٤١، يونيو ٢٠٢٢، ص ٢٨٠.

(٣٢) ماركو: إريك، المرجع السابق، ص ١٣٢.

(٣٣) العظم: نزيه، رحلة في بلاد العربية السعيدة من مصر إلى صنعاء، ط٢، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦م ، ص ١٩٢.

أسواق تجارية أمام بضائعها، وهذا ما سهلته المعاهدة، ومن وجهة نظر روما فإن عقد المعاهدة مع الإمام كان يعد الخطوة الأولى المهمة في تاريخ مد نفوذها في جنوب غربي الجزيرة العربية(٣٤).

وحصلت إيطاليا بناء على تلك المعاهدة على حق تجارة البن اليمني في الخارج، وعلى تسهيلات في مجال تزويد بالنفط لمدة خمس سنوات(٣٥)، لكن لما انقضت الخمس سنوات رفض الإمام يحيى أن يمد مدة هذه الاتفاقية، وأصبحت ملغاة، وعادت تجارة الكاز –النفط– حرة، وارتفع عنها الحصر، وأراد كثيرون من إنجليز وألمان وروس أن يحصلوا على اتفاقية جديدة؛ بسبب حصر الكاز، فرفض الإمام جميع طلباتهم؛ لأنه شعر بضرر الاحتكار، وضرر الأجانب(٣٦).

وبعد توقيع المعاهدة أرسلت إيطاليا بعض الطائرات الإيطالية إلى صنعاء، وكان للضابط الطيار الإيطالي الكابتن أريجومي الذي كان عضوا في بعثة المعاهدة شرف الهبوط بأول طائرة في صنعاء، وإهدائها إلى الإمام، وكانت تلك الطائرة من طراز SVA، ونظرا لاهتمام الإمام الشديد بهذه الطائرات، فقد أرسل عددا من اليمنيين ليتدربوا على الطيران في مصر، كما أسس مدرسة أولية للطيران في صنعاء(٣٧)، واستخدمت الطائرات في تنقلات كبار الموظفين، وعائلة الإمام إلى أن سقطت طائرة، وقتل بها أمير من العائلة المالكة، فأهمل الإمام الطيران، وترك الطائرات على الأرض إلى أن عاد مرة أخرى عام (١٣٦٦هـ–١٩٤٦م) إلى الاهتمام باستخدام الطائرات(٣٨).

كانت هذه المعاهدة بداية عهد جديد في تاريخ العلاقات اليمنية الإيطالية، وفي ٢ ذي الحجة ١٣٤٥هـ. الموافق الأول من يونيو ١٩٢٧م، وقبل مضي عام على توقيع المعاهدة تم التوصل إلى اتفاق سري بين إيطاليا واليمن، وكان هذا الاتفاق السري يهتم في المقام الأول بموضوع مد الإمام بالأسلحة الإيطالية، وأدى تسرب خبر هذا الاتفاق إلى استنكار عالمي، ولم يكن ذلك بسبب مد الإمام بالأسلحة فقط، بل لأن الاتفاق السري يمنح إيطاليا أفضلية في مجال التجارة، وربما تم

---

(٣٤) سالم: السيد مصطفى، المرجع السابق، ص ٣٠٤–٣٠٥.

(٣٥) السوفييت: مجموعة من المؤلفين، تاريخ اليمن المعاصر، ترجمة محمد على البحر، مكتبة مدبولى، ١٩٩٠، ص ٣٧.

(٣٦) سالم: السيد مصطفى، المرجع السابق، ص ٣٠٧–٣٠٨.

(٣٧) ماركو: إريك، المرجع السابق، ص ١٣٢–١٣٣.

(٣٨) أحمد: محمود عادل، المرجع السابق، ص ١٠١.

تسرب المعلومات عن هذه الاتفاقية الثانية أثناء زيارة الابن الأكبر للإمام سيف الإسلام محمد، ووزير الخارجية اليمني راغب بك إلى نابلي وروما في محرم ١٣٤٦هـ الموافق يوليو ١٩٢٧م[٣٩].

وفي السنوات التي تلت اتفاقيات (١٣٤٥-١٣٤٦هـ) الموافق (١٩٢٦-١٩٢٧م) استغل الإيطاليون رغبة اليمن في استخدام أطباء أوروبيين كوسيلة تمكنهم من أن يكون لهم عمل في اليمن، فالدكتور موريس مثلاً دخل البلاد لأول مرة عام (١٣٥٥هـ-١٩٣٦م)، وظل هناك عشرين عاما، وسيزر أنالدي الذي ظل طبيبا للإمام عدة سنوات، وتمكن من التنقل في البلاد على نطاق واسع يمارس مهنته بين القبائل اليمنية، ومنذ عام (١٣٤٥هـ-١٩٢٦م) قامت إيطاليا ببناء مستشفى في صنعاء، وقد بلغت المصلح الإيطالية في اليمن مستوى عاليا في أواسط ثلاثينات القرن العشرين، وفي عام (١٣٥٥هـ-١٩٣٦م) نشر في روما كتاب سالفا تور أبونتي عن اليمن[٤٠]، وفي العام التالي (١٣٥٦هـ-١٩٣٧م) وصل غاسبريني إلى صنعاء على رأس بعثة دبلوماسية، وتم توقيع اتفاقية صداقة جديدة، ولم تخرج في جوهرها عن المعاهدة اليمنية الإيطالية الأولى[٤١].

وظل النفوذ الإيطالي مسيطرا في اليمن لفترة طويلة حتى أثناء الحرب العالمية الثانية؛ حيث استمرت محطة الإذاعة موالية للمحور في البث، لكن مع هزيمة دول المحور تم حبس أو طرد أعضاء البعثة الطبية الإيطالية، وكان ذلك بضغط من السلطات البريطانية في عدن[٤٢]، وبذلك انتهى نشاط إيطاليا مع الإمام يحيى بهزيمتها في الحرب العالمية الثانية[٤٣].

أما العلاقة اليمنية البريطانية، فقد بدأ النزاع بين اليمن وبريطانيا منذ اليوم الذي وضعت فيه بريطانيا أقدامها على أرض جنوب الجزيرة العربية؛ حيث رأى أئمة اليمن أن جميع البلاد الواقعة في الركن الجنوبي الغربي من شبة جزيرة العرب، وجزر البحر الأحمر الواقعة في الخليج العربي، وفي مياههم الإقليمية تابعة لهم، أما بريطانيا فقد كانت تستند إلى منطق القوة، وإلى ما

---

(٣٩) ماركو: إريك، المرجع السابق، ص ١٣٣-١٣٧.
(٤٠) المرجع نفسه، ص ١٣٧.
(٤١) الحداد: محمد يحيى، المرجع السابق، ص ٣٧٧.
(٤٢) ماركو: إريك، المرجع السابق، ص ١٣٧-١٣٨.
(٤٣) أحمد: محمود عادل، المرجع السابق، ص ١٩٨.

تدعيه من أن حكم تلك المناطق أصبح حقاً لها بعد عقدها معاهدات واتفاقات مع زعماء تلك البلاد(٤٤).

وبعد إعلان الهدنة في نهاية الحرب العالمية الأولى، واستسلام القوات العثمانية في اليمن للقوات البريطانية طلب القائد العثماني سعيد باشا من الإمام يحيى استلام منطقة لحج وغيرها من مناطق الجنوب، وضمها إلى الدولة المتوكلية، كما وصل إلى صنعاء بعض علماء وزعماء حضرموت إلى الإمام يحيى ينصحونه بالاستيلاء على جميع المناطق اليمنية في الجنوب، والاعتراف بحق بريطانيا في الاستيلاء على عدن بوصفها محمية عسكرية، أما النفوذ الديني فللإمام يحيى الحق في تنفيذه، والإشراف عليه، غير أن الإمام يحيى أدار ظهره، ولم يفعل شيئاً، ولم يستجب إلى هذا النداء من قبل سعيد باشا(٤٥).

هذا الموقف المتخاذل من قبل الإمام يحيى شجع الاحتلال البريطاني على مهاجمة الدولة المتوكلية نفسها، واحتلال أجزاء منها؛ حيث قامت بريطانيا بأول عدوان على اليمن الشمالي عام (١٣٣٧هـ-١٩١٨م)، وذلك بضرب موانئ الحديدة واللحية والصليف والمخا، وغيرها من الموانئ اليمنية، وذلك بحجة تباطؤ العثمانيين المنسحبين من صنعاء، وغيرها من المدن إلى الحديدة عن الانسحاب منها إلى عدن، واللحاق باللواء على سعيد باشا، والقوات التركية التي معه في عدن للإبحار منها إلى الدولة العثمانية تحت إشراف بريطانيا باسم الحلفاء، وبموجب هدنة مودروس(٤٦) المعقودة بين الحلفاء والدولة العثمانية القاضية بانسحاب الأتراك من اليمن، وسائر الدول العربية، أما السبب الحقيقي من وراء عدوانها على ميناء الحديدة، وغيرها من موانئ اليمن واحتلالها، وكان نتيجة الضغط على الإمام يحيى الاعتراف بشرعية الوجود البريطاني في عدن والجنوب، وتخطيط الحدود، أو إقرار اتفاقية الحدود البريطانية العثمانية(٤٧).

---

(٤٤) شميس: على محمد، امتياز المنح في الأمم المتحدة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٨٣م، ص ٢٧-٢٨.، ص ٤٢.

(٤٥) الثور: عبد الله بن أحمد، مختصر من تاريخ اليمن، دار الاستقلال للطباعة، القاهرة، ١٩٧٩م.، ص ١٢.

(٤٦) أنهت هدنة مودروس الموقعة في ٢٤ محرم ١٣٣٧هـ.-٣٠ أكتوبر ١٩١٨م العمليات القتالية القتال في الشرق الأوسط بين الدولة العثمانية والحلفاء خلال الحرب العالمية الأولى، وقد وقعها وزير الشؤون البحرية العثماني رؤوف أورباي بك، والأميرال البريطاني سومرست آرثر غوف في ميناء مودروس في جزيرة ليمنوس اليونانية، وأعقب الهدنة احتلال إسطنبول، وتقسيم الإمبراطورية العثمانية. دوزموند: ستيوارت، تاريخ الشرق الأوسط الحديث، ترجمة: زهدي جار الله بيروت، ١٩٧٤، ص ٢١٥.

(٤٧) الحداد: محمد يحيى، المرجع السابق، ص ٣٧٠.

وقد احتج الإمام يحيى على العدوان البريطاني السافر على اليمن رغم أنه لم يكن قد تسلم الحديدة أو غيرها من موانئ ومدن تهامة من الأتراك، على الرغم من محاولات الإمام يحيى الحفاظ على موقف محايد خلال الحرب العالمية الأولى، إلا أنه بعد انتهاء الحرب، طلب من بريطانيا تسليم مدن الحديدة وغيرها من المناطق التي استولوا عليها في تهامة. ومع ذلك، راوغ الإنجليز في الاستجابة لهذا الطلب، واشترطوا توقيع اتفاقية الحدود أو على الأقل الموافقة على الاتفاقية التي سبق أن وضعها الأتراك معهم قبل النظر في تسليم هذه المناطق[٤٨].

وقف الإمام يحيى إلى وقت ما في عام (١٣٣٨هـ-١٩١٩م) حائلاً في وجه الذوايا البريطانية لاستعادة حدود عام (١٣٢٣هـ-١٩٠٤م) القديمة، وفي محاولة لتذمية الصلات الودية مع الإمام قامت بعثة من القاهرة على رأسها المقدم هـ.. ف جاكوب؛ لتناقش معه في صنعاء أمر مستقبل اليمن بعد استسلام الأتراك[٤٩].

ولما تأكد للإمام مراوغة بريطانيا فيما وعدته به من تسليم الحديدة، وتهامة فقام من ناحيته بمعاونة أهل الضالع بإرسال قوة إليها، وبسط نفوذه فيها عام (١٣٣٨هـ-١٩٢٠م)، وقام الإنجليز ردا على ذلك بتسليم ميناءي الحديدة واللحية، وما بينهما في تهامة إلى السيد محمد الإدريسي، وتعقد الموقف أكثر بين الإمام يحيى وبريطانيا رغم استمرار المفاوضات، وإرسال الإمام للقاضي عبد الله العرشي مندوبا دائما عنه إلى عدن.

وعندما يئس الإمام من الحصول على ما يطلبه من بريطانيا، وهو التخلي عن الجنوب الذي لا تريد التخلي عنه، واستعادة الحديدة وتهامة من الإدريسي، وتسليمها إليه، ولم تعد في يديها، ولا في مقدورها ذلك، فقام الإمام بإثارة أبناء الجنوب ضد بريطانيا، واستطاع التمركز بقواته في بلاد الشعيب والجعود والقطيب بعد استيلائه على بلاد البيضا عام (١٣٤١هـ-١٩٢٣م)، كما هاجم العواذل العليا عام (١٣٤٢هـ-١٩٢٤م)، والعواذل السفلي عام (١٣٤٤هـ-١٩٢٦)[٥٠]، وأدى نجاح

---

(٤٨) المرجع نفسه.

(٤٩) ابن دغر: أحمد عبيد، اليمن تحت حكم الإمام أحمد ١٩٤٨-١٩٦٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ١٩١.

(٥٠) الحداد: محمد يحيى، المرجع السابق، ص ٣٧١.

الحملات العسكرية للإمام إلى إرغام السلطات البريطانية على الدخول في مشاورات سلمية معه(٥١).

أرسلت بريطانيا بعثة إلى صنعاء على رأسها السير جيلبرت كلايتون Gilbert Clayton، واستمرت هذه البعثة من ٩ رجب إلى ٩ شعبان ١٣٤٤هـ الموافق ٢٤ يناير إلى ٢١ فبراير ١٩٢٦م، وكانت هذه البعثة من أجل التباحث بشأن تخطيط حدود اليمن الجنوبية، والتوصل إلى اتفاقية صداقة، ولكن الإمام يحيى ظل متمسكاً بمنطقة جنوب غربي الجزيرة العربية كلها؛ ولذلك فشلت هذه البعثة(٥٢).

وعلى أي حال فإن الإمام قد طلب عام (١٣٤٦هـ-١٩٢٨م) فتح باب المفاوضات مع بريطانيا، وقد استمرت المفاوضات رغبة في الوصول إلى اتفاق نهائي بينهما، ورغم أن الإمام قد دخل أجزاء من إقليم العوذلي خلال عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣١، وقبض على بعض الرهائن منها إلا أن بريطانيا آثرت استمرار التفاوض، ثم وضعت شروطاً لإتمام الاتفاق النهائي، وكان من الطبيعي أن يتضمن هذا الاتفاق خروج الإمام من كل المحميات، وإعادة الرهائن، وقبول الحدود السابقة، واستمرت المفاوضات بين الإمام يحيى وبريطانيا، وظلت حتى عام (١٣٥٢هـ-١٩٣٤م)؛ حيث عقدت معاهدة أنجلو يمنية في صنعاء في ٢٦ شوال ١٣٥٢هـ الموافق ١١ فبراير ١٩٣٤م(٥٣).

وكانت معاهدة صنعاء في حقيقتها إقرارا للوضع الراهن دون تحديد للحدود الفاصلة بين منطقتي نفوذ بريطانيا من جهة، والإمام يحيى من جهة أخرى في جنوب اليمن أكثر من كونها تسوية نهائية لمشكلة الحدود بين الجانبين، بل إن التصديق على هذه المعاهدة، ولم يتم إلا في ٢٥ جمادى الأولى ١٣٥٣هـ الموافق الرابع من سبتمبر ١٩٣٤م، كان معلقاً بإقرار الوضع القائم دون تحديد للحدود بين منطقتي نفوذ الجانبين، كما كان معلقاً بإتمام جلاء قوات الإمام عن أربع وستين قرية في إقليم العوذلي، وثمانية أخر في إمارة الضالع(٥٤)، وإطلاق سراح الرهائن المأخوذين من

---

(٥١) السوفييت: مجموعة من المؤلفين، السوفييت: مجموعة من المؤلفين، تاريخ اليمن المعاصر ١٩١٧-١٩٨٢م، ترجمة محمد علي البحر، مكتبة مدبولي، ١٩٩٠م، ص ١٣.

(٥٢) العقاد: صلاح، المشرق العربي المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ٥٢٣.

(٥٣) سالم: السيد مصطفى، المرجع السابق، ص ٣٨٥-٣٨٦.

(٥٤) أباظة: فاروق عثمان، العلاقات البريطانية اليمنية بين الحربين العالميتين ١٩١٩-١٩٣٩م، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص ١٢٤-١٢٥.

بلاد المحمية، وإعادة فتح طريق التجارة بين اليمن والمحمية البريطانية، والذي كان قد أقفل بسبب القصف الجوي البريطاني على مدن شمالي اليمن(٥٥).

واتفق الجانبان البريطاني واليمني بموجب المعاهدة على أن يضم خط الحدود بلاد العوذلي والضالع لبقية الذواحي المحمية من قبل بريطانيا، أما بالنسبة لإقليم البيضاء، وكانت تقع من قبل ضمن نفوذ الجانب البريطاني وفقاً لخط الحدود السابق تحديده بين منطقتي نفوذ بريطانيا، والدولة العثمانية في جنوبي اليمن في عام١٣٣٢هـ-١٩١٤م، فقد تم ضمها لمنطقة نفوذ الإمام يحيى؛ لأنها لم ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة حماية(٥٦)؛ ولذلك يعد إقليم البيضاء الإقليم الوحيد الذي استطاع الإمام أثناء كل منازعاته مع بريطانيا أن يضمه إلى بلاده، كما يعد التعديل الوحيد الذي أدخل على الحدود الأنجلو تركية رغم الحروب الطويلة بين الطرفين(٥٧).

وأهم ما يستلفت النظر في هذه المعاهدة أنها كانت ملبية لتطلعات بريطانيا التي حرصت على تحقيقها طوال الفترة الممتدة بين عامي (١٣٣٨-١٣٥٢هـ الموافق ١٩١٩-١٩٣٤م) التي تتمثل في الحيلولة دون سيطرة الإمام يحيى على الذواحي المحمية المتاخمة لعدن في جنوبي اليمن، أو التدخل في شؤونها، وقد توصلت بريطانيا بموجب هذه المعاهدة إلى اعتراف صريح من الإمام يحيى بالوضع الراهن في الذواحي المتاخمة لعدن بمركز بريطانيا هناك، وليس من المبالغة القول: إن هذه المعاهدة كانت بداية النهاية بالنسبة لحقوق الإمام في المحميات، وإن رأى البعض أن الإمام ظل يتصور أنها عمل مرحلي لا يعني أكثر من مجرد تأجيل البت في مسألة الحدود(٥٨)، وإن قبوله لهذه المعاهدة يعني نظريا أن الإمام لم يتنازل عن مطالبه في الجنوب، غير أن مدة المعاهدة كانت أربعين عاما، ما يدل على أن موقف الإمام ليس مؤقتاً، خاصة أن المعاهدة الأخرى التي عقدها الإمام مع إيطاليا، أو الاتحاد السوفيتي لم تزد على عشر سنوات(٥٩).

---

(٥٥) القحطاني: عبد القادر، المرجع السابق، ص ٤٦.

(٥٦) أباظة: فاروق عثمان، العلاقات البريطانية اليمنية، ص ١٢٥.

(٥٧) سالم: السيد مصطفى، المرجع السابق، ص ٣٨٧.

(٥٨) أباظة: فاروق عثمان، العلاقات البريطانية اليمنية، ص ١٢٥-١٢٦.

(٥٩) العقاد: صلاح، المرجع السابق، ص ٥٢٤.

وعند قيام الحرب العالمية الثانية أعلن الإمام يحيى حياده، واستمرت العلاقات البريطانية اليمنية ودية، لكن حدث عامي (١٣٦٢-١٣٦٣هـ.) الموافق (١٩٤٣-١٩٤٤م) اعتداء خطير من قبل الإمام على الحدود في أقصي الجنوب الغربي للمحمية، وتبع ذلك مفاوضات ماطل فيها الإمام؛ حيث استمرت لمدة ستة عشر شهرا، بينما كان يحاول أثناء ذلك كسب مساعدة الولايات المتحدة ومصر والسعودية، وحين باءت محاولاته بالفشل سحب قواته[٦٠]، وكان لانتصار بريطانيا في الحرب العالمية الثانية أكبر الأثر في استقرار العلاقات بين الطرفين، خاصة أن اليمن قد انشغل بحركته الوطنية، وبنمو المعارضة التي أطاحت بحكم الإمام يحيى وقامت باغتياله عام (١٣٦٧هـ-١٩٤٨م)[٦١].

عقدت صنعاء معاهدة صداقة وود بين اليمن وإثيوبيا عام (١٣٥٣هـ-١٩٣٥م)، وتألفت المعاهدة من سبع مواد نصت على السلام والصداقة بين البلدين، وعلى تقوية علاقتهما الودية والتجارية، ومراعاة رعايا البلدين في بلد كل طرف[٦٢]، وعلى أن تعامل كل منهما تجارة ورعايا البلد الآخر معاملة تجارة ورعايا الدولة الأكثر رعاية، ونصت المعاهدة أيضا على إقامة علاقات دبلوماسية، وتبادل الدبلوماسيين بينهما، ولكن لم يحدث شيء من هذا طوال عهد الإمام يحيى، ويلاحظ أن مدة العمل بهذه المعاهدة كانت خمس سنوات فقط على أن تجدد إذا لم ترغب إحدى الدولتين في إنهاء العمل بها، وحررت هذه المعاهدة في صنعاء في ١٧ من ذي الحجة ١٣٥٣هـ الموافق ٢٢ مارس ١٩٣٥م[٦٣].

وترجع العلاقة اليمنية الفرنسية إلى عام (١٣٢٩هـ-١٩١١م)؛ حيث بدأت الاتصالات بين باريس وصنعاء، وقد حاولت باريس إقامة خط حديدي لربط الحديدة بالعاصمة صنعاء، وبدأ العمل بالمشروع، ولكن العمل توقف بعد مد خمسة أميال من قضبان السكك الحديدية، كما حاولت الشركة الفرنسية الأمريكية للنفط ستاندارد أويل كرمباني البحث عن البترول في اليمن، ولكن جهودها باءت بالفشل مع الإمام، وفي ٣ صفر ١٣٥٥هـ الموافق ٢٥ أبريل ١٩٣٦م تم التوقيع في صنعاء على معاهدة صداقة بين اليمن وفرنسا، وتألفت المعاهدة من تسع مواد نصت على اعتراف فرنسا باستقلال اليمن، والعمل على توطيد الصداقة بين البلدين، وتبادل التمثيل السياسي، وعلى التبادل

---

(٦٠) المرجع نفسه، ص ١٥١-١٥٣.

(٦١) أباظة: فاروق عثمان، العلاقات البريطانية اليمنية، ص ١٤٩.

(٦٢) القحطاني: عبد القادر، المرجع السابق، ص ٤٧.

(٦٣) سالم: السيد مصطفى، المرجع السابق، ص ٥٦٣.

التجاري، وتسهيل معاملة السفن التجارية في حالة الشحن والتفريغ، ومدة المعاهدة عشر سنوات قابلة للتجديد، وصدق عليها الإمام يحيى عليها في ٢٢ محرم ١٣٥٦هـ الموافق ٤ أبريل ١٩٣٧م، ونشرت المعاهدة في الجريدة الرسمية الفرنسية في ١١ صفر ١٣٥٦هـ الموافق ٢٢ أبريل ١٩٣٧م(٦٤).

أما العلاقات اليمنية الأمريكية فقد بدأت مع النصف الأول من عشرينيات القرن العشرين؛ حيث نفذت الدوائر الإمبريالية الأمريكية محاولاتها الأولى للتغلغل في اليمن؛ حيث اتفقت الولايات المتحدة مع الإمام يحيى على منح الحق في شق الطرقات، تحديدا بدأ الأمريكان عملهم بشق الطريق بين صنعاء والحديدة، غير أنه اتضح بأن نشاطهم في البلاد عموما ضعيف الجدوى، وغير متواصل؛ ولذلك زار اليمن أمين الريحاني الأمريكي الجنسية الشامي الأصل؛ حيث قام برحله طويلة في اليمن عام (١٩٢١-١٩٢٢م) ظاهرها الدعوة إلى توحيد الصف العربي، واتضح في ذلك الوقت عدم جدوى عمليات التنقيب عن النفط، وفي عام ١٩٢٥م، وعام ١٩٢٨م قام جيمس لواربارك نائب القنصل الأمريكي في عدن بـ.زيارة ودية للإمام، كما وصل إلى الحديدة عام ١٩٣٧م جيولوجيان أمريكيا من المختصين في شؤون النفط للتنقيب، إلا أن حظهما لم يكن أفضل من حظ من سبقهما(٦٥).

وفي عام ١٩٤٦م تم توقيع معاهدة صداقة بين اليمن والولايات المتحدة الأمريكية، وذلك على أثر وصول وفد رسمي أمريكي لليمن إلى صنعاء في فبراير، وفي يوليو ١٩٤٧م وصل وفد يمني إلى الولايات المتحدة للرد على زيارة الوفد الأمريكي لليمن، وكان يحمل معه كتابا من الإمام الى الرئيس ترومان ينطوي على أرق عبارات الود والمجاملة، وافتتحت اليمن مفوضية في الولايات المتحدة رئيسها محمد بن عبد الله العمري، كما افتتحت الولايات المتحدة مفوضية لها في صنعاء، وذلك يعني إقامة علاقات دبلوماسية منتظمة بين البلدين، وفي عام ١٩٤٧م انضمت اليمن إلى هيئة الأمم المتحدة(٦٦).

---

(٦٤) ماركو: إريك: المرجع السابق، ص ١٤١-١٤٣.

(٦٥) نفسه.

(٦٦) القحطاني: عبد القادر، المرجع السابق، ص ٤٨.

ومنحت الولايات المتحدة اليمن قرضا بمليون دولار لشراء معدات حربية منها، وكان ذلك ضمن مساعي الإمام في ذلك الوقت للبحث عن دولة جديدة تسانده بدلاً من دول المحور التي هزمت في الحرب العالمية الثانية، وكان هذا أيضا مناسبا لواشنطن التي كانت قد بدأت تأخذ وضعها ودورها الدولي في منطقة الشرق الأوسط(٦٧).

أيضا منذ القرن الثامن عشر الميلادي لم يكن لهولندا اتصال كبير باليمن إلا في عام (١٣٤٥هـ-١٩٢٦م) أسست قنصلية هولندية في جدة لرعاية شؤون الحجاج الإندونيسيين القادمين إلى مكة، وعين لها قنصلاً الدكتور دانيال فان دي مرلين الذي اشتهر برحلاته واكتشافاته في حضرموت، وقام برحلة استكشافية في اليمن عام (١٣٥٠هـ-١٩٣١م)؛ حيث سافر من الحديدة إلى صنعاء عن الطريق الجنوبي، وتمت له مقابلة ودية مع الإمام يحيى، كما قام بزيارة سيف الإسلام محمد الذي كان حاكما على الحديدة(٦٨).

وفي عام (١٣٥١هـ-١٩٣٣م) عقدت المعاهدة في صنعاء بين اليمن، ومثلها محمد راغب بك نيابة عن الإمام، وبين هولندا الذي مثلها عن ملك هولندا مفوضها في جدة المستر أدرياس، وتألفت المعاهدة من خمس مواد نصت على اعتراف هولندا باستقلال اليمن وبملكها يحيى، وعلى سيادة السلم، والصداقة بين البلدين، وحررت في صنعاء بتاريخ ١٦ ذي القعدة ١٣٥١هـ الموافق ١٢ مارس ١٩٣٣م(٦٩).

وتعود العلاقة بين اليمن والاتحاد السوفيتي إلى توصية المؤتمر الشيوعي السادس عام (١٣٤٧هـ-١٩٢٨م)؛ حيث قرر الاتحاد السوفيتي خلاله إقامة علاقات مع الدول العربية، خاصة المستقلة منها، ولم يكن مستقلاً في ذلك الوقت سوى السعودية واليمن، فأقام علاقات تجارية مع السعودية عام (١٣٤٧هـ-١٩٢٨م)، وفتح وكالة تجارية في جدة(٧٠)، وبدأت الاتصالات بين الاتحاد السوفيتي واليمن من خلال تكليف أمير الحديدة الاتصال بالممثل القنصل السوفيتي بجدة عام (١٣٤٥هـ-١٩٢٦م)، فعقدت اللقاءات الأولي في أنقرة بتركيا عام (١٣٤٥هـ-١٩٢٦م)، ثم في جدة بالسعودية عام (١٣٤٦هـ-١٩٢٧م)(٧١)، وفي ذي القعدة ١٣٤٦هـ الموافق مايو ١٩٢٨م وصل إلى

---

(٦٧) أحمد: محمود عادل، المرجع السابق، ص ١٩٧.

(٦٨) ماركو: إريك، المرجع السابق، ص ١٤٨-١٤٩.

(٦٩) القحطاني: عبد القادر، المرجع السابق، ص ٤٩.

(٧٠) أحمد: محمود عادل، المرجع السابق، ص ١٩٦.

(٧١) علي، يوسف أحمد جميل، المرجع السابق، ص ٢٨١.

اليمن إستاخوف أول ممثل عن الاتحاد السوفيتي[٧٢]، ومعه رسالة من وزير الخارجية السوفيتي أكدت صلاحياته في إجراء المباحثات حول إقامة العلاقات مع اليمن، وبنتيجة هذه المباحثات تم في محرم ١٣٤٧هـ الموافق يوليو ١٩٢٨م التوقيع علي النص الأولي لمعاهدة الصداقة والتجارة السوفيتية اليمنية، وبعث إمام اليمن برسالة إلى موسكو في ١٩٢٨م عبر فيها عن رفيع التقدير والشكر، وبعد إدخال بعض التعديلات على مشروع الاتفاق تم التوقيع عليها في صنعاء في نوفمبر ١٩٢٨ الموافق ١٧ جمادى الأولى ١٣٤٧[٧٣]، وتم فتح وكالة تجارية في الحديدة نشطت نشاطاً كبيرا، وأخذت تبيع المنتجات السوفيتية بنصف الثمن، وتشتري البن من التجار[٧٤].

وتألفت المعاهدة من خمس مواد؛ حيث تضمنت المادة الأولى من هذه الاتفاقية اعتراف حكومة الاتحاد السوفيتي بالاستقلال الكامل والمطلق لحكومة الإمام يحيى، وهكذا أقيمت العلاقات الرسمية، وتحددت العلاقات السياسية والاقتصادية بين الاتحاد السوفيتي واليمن، ونصت على تسهيل المبادلات التجارية بين البلدين، والحق لرعايا البلدين بمزاولة الأعمال التجارية، وغيرها من البلد الآخر مع خضوعهم لقوانين البلد التي يعملون فيها، ومدة المعاهدة عشر سنوات قابلة للتجديد، وقد وقعها عن الاتحاد السوفيتي إستاخوف، وعن الحكومة اليمنية القاضي محمد راغب بك، وسميت معاهدة صنعاء[٧٥].

كانت معاهدة صنعاء أول معاهدة تعقد بين دولة عربية والاتحاد السوفيتي[٧٦]، وكان لإبرام تلك المعاهدة أهمية سياسية عظيمة بالنسبة لليمن؛ إذ نهضت الدبلوماسية السوفيت لدعم الشعب اليمني في نضاله العادل من أجل الاستقلال الوطني لعدن والمحميات، وضد الاسترقاق الإمبريالي، ويضاف إلى ذلك أهمية الاتفاق من الناحية الاقتصادية، وبدأت موسكو في النصف الثاني لعام ١٣٥٧هـ-١٩٣٩م في توريد كميات هائلة من السلع، والمعدات الضرورية لليمن، وقد ساعد هذا إلى حد بعيد على تقليل اعتماد اليمن اقتصاديا على الدول الإمبريالية الاستعمارية، وبعد التوقيع على

---

(٧٢) القحطاني: عبد القادر، المرجع السابق، ص ٤٩.

(٧٣) علي: يوسف أحمد جميل، المرجع السابق، ص ٢٨١، ٢٨٢.

(٧٤) أحمد: محمود عادل، المرجع السابق، ص ١٩٦.

(٧٥) القحطاني: عبد القادر، المرجع السابق، ص ٤٩.

(٧٦) زيادة: نقولا، عالم العرب.. جغرافيته تاريخية ومصادر ثروته، بيروت الأهلية، ١٩٨٤م، ص ٢١٥.

المعاهدة افتتح في صنعاء مستوصف الصليب الأحمر السوفيتي، وقدم من خلاله الأطباء السوفييت مساعداتهم الطبية المجانية للسكان(٧٧).

وعموما يمكن القول: إنه في خلال نهاية حكم الإمام يحيى عقدت اليمن جملة من المعاهدات مع دول العالم، ولكن هذه المعاهدات كانت صورية أقدم عليها الإمام يحيى من باب درء الخطر عن نظامه في محاولة لصد رياح التغير والتقدم، والتطور معتقدا نفسه وكيل الشعب يدير نيابة عنه كل شيء، وهذا وفق المفهوم الإمامي المتخلف الذي يرى أنه ليس من حق الشعب اختيار الإمام أو مراقبته، أو محاسبته أو عزله؛ لأنه من سلطانه الديني معصوم، ولا حق للشعب في التشريع؛ لأن السماء قد فرغت من التشريع جملة وتفصيلاً، ولها وكيلها الذي يدير نيابة عنها شؤون هذه الميادين(٧٨) .

ولهذا فإن هذه المعاهدات التي عقدتها اليمن مع بعض الدول كانت بالنسبة لقضية التطور العام في البلاد عديمة الفائدة، وغير ذات فاعلية، وقد حاول الإمام أن يرجع سياسة العزلة إلى مبررات وطنية كحرصه على صيانة التراث اليمني من المطامع الاستعمارية، ولم تختلف سياسة الإمام في علاقته بالدول العربية والإسلامية في جوهرها عن علاقته مع الدول الأجنبية، وقد ولدت هذه السياسة حركة المعارضة ضد تلك السياسة القصيرة النظر.

خرج البحث بعدد من النتائج منها :

-رغم سياسة العزلة التي اتبعها الإمام يحيى بن حميد الدين، إلا أنه اضطر إلى الاستجابة لمتطلبات العصر وضروراته، حيث فرضت الظروف السياسية والاقتصادية على الإمام أن يغير من سياسته الخارجية بشكل جزئي.

- كانت المعاهدات والاتفاقيات التي أبرمها الإمام يحيى بن حميد الدين محاولة لمواكبة التطورات العالمية والإقليمية.

- رغم التوقيع على المعاهدات والاتفاقيات، إلا أن تنفيذها كان محدودا، ومن ثم كان معظمها حبرا على ورق، مما يدل على أن الإمام كان يحاول الموازنة بين العزلة والانفتاح.

---

(٧٧) السوفييت: مجموعة من المؤلفين، المرجع السابق، ص ٤٣-٤٤.

(٧٨) العشملي: محمد أحمد، المرجع السابق، ص ٣٢-٣٣..

– عقدت اليمن جملة من المعاهدات في عهد الامام يحيى مع دول العالم، ولكن هذه المعاهدات كانت صورية أقدم عليها الإمام يحيى من باب درء الخطر عن نظامه في محاولة لصد رياح التغير والتقدم

– كانت السياسة الخارجية للإمام يحيى بن حميد الدين، وفرض مبدأ العزلة، أحد الأسباب الرئيسة التي أدت إلى اغتياله، فقد أدت تلك السياسة إلى تفاقم الأوضاع الداخلية في اليمن، وخلقت شعورا بالاستياء بين صفوف الشعب اليمني، مما أدى إلى ظهور حركة الأحرار التي سعت إلى الإطاحة بالإمام.